جبهة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية :
متى تتحول الى جبهة وطنية؟

الحركة الوطنية.. متى تتحول الى جبهة؟

بدأت تطرح في الاونة الاخيرة مسألة تحويل « لقاء الاحزاب » الى جبهة وطنية ، ومع ان الدعوة لقيام الجبهة الوطنية ، ليست جديدة في اوساط الحركة الوطنية ، اذ طالما دعت اليها بعض القوى والاحزاب التقدمية ، واعتبرتها شرطا اساسيا من شروط الصمود والانتصار ، ومع ذلك فأن ما يميز الدعوة الى قيام الجبهة الوطنية في الفترة الاخيرة هو اجماع مختلف الاطراف على ضرورة ارتقاء النضال الوطني الى المستوى الجبهوي وتحريره من احكام المزاجية والاهواء الحزبية الضيقة .

■■■

ان تطور الصراع في لبنان افرز مشكلات جديدة ، بدأت الجماهير تعاني من شدة وطأتها ، وانعكست هذه المعاناة سلبا على قدرة الحركة الوطنية في تعبئة الجماهير وقيادة نضالها . ان مسؤولية مواجهة هذه المشكلات تقع على عاتق الحركة الوطنية بالطبع ، مما دفع فصائل الحركة الوطنية الى البحث عن اطار يوحد جهودها وتوجهها المشترك في التصدي لمختلف المهام النضالية ، التي لم يعد بوسع فصيل بمفرده مواجهتها وايجاد الحلول المناسبة لها .

اسس الجبهة الوطنية

من المعروف ان الجبهة الوطنية تختلف شكلا ومضمونا عن صيغة « لقاء الاحزاب » . فبينما تحكم علاقات القوى في « لقاء الاحزاب » مزاجية وقناعة تجريبية وظرفية وفردية ، تحل مكانها علاقات جديدة منبعثة من القواعد الجبهوية التي تراعى فيها اسس مبدئية تنظيمية وملتزمة بمواقف سياسية موحدة ، وعلى درجة معينة من الانسجام والتوافق .

لا يمكن الحديث عن جبهة وطنية موحدة دون الاستناد الى الاساسين التاليين :

● الاساس الاول هو الموقف السياسي الموحد . ان العمل الجبهوي هو اتفاق احزاب مختلفة الانتماء الطبقي ومتباينة الالتزام الايديولوجي ، يلتقي على موقف سياسي عام ومشترك بينها . ان لهذا الموقف السياسي مضمون تحدده الاهداف المرحلية المشتركة ، والتي تجد هذه القوى ضرورة العمل الجبهوي في النضال من اجل تحقيقها .

● الاساس الثاني هو الالتزام التنظيمي الذي تتفق اطراف الجبهة على تحديد ضوابطه بمبادىء وقوانين الزامية تراعى معها الديمقراطية في العلاقات الجبهوية ، بحيث تكون قرارات الجبهة ومواقفها ملزمة للجميع مع احتفاظ الاقلية المعارضة بحق التعبير عن ارائها ووجهات نظرها في القضايا المختلف عليها ، شرط الا يشكل ذلك خروجا عن الاسس التي تقوم عليها الجبهة .

ان الدعوة الى قيام جبهة وطنية كشفت عجز صيغة « لقاء الاحزاب » السابقة وتكشف قصور صيغة المجلس السياسي لمدينة بيروت وضواحيها او للبنان بكامله ، بدليل دعوة اصحاب هذه الصيغ الى استكمال العمل من اجل تحويل هذا اللقاء وهذه الصيغ الى بناء الجبهة الوطنية الموحدة .

ان ضرورات الارتقاء بنضال الجماهير من حالة التشرذم والفئوية الى مستوى العمل الجبهوي الموحد ، تفترض وجود هذه الجبهة منذ فترة طويلة لمواجهة الهجمة الفاشية الرجعية الامبريالية . مع ذلك كله ، فأن الجبهة الوطنية لا زالت مشروعا في اذهان الداعين اليها ، معتبرين ان « لقاء الاحزاب » والصيغ المعمول بها حاليا خطوات على طريق استكمال بناء هذه الجبهة .

اهداف الجبهة الوطنية الموحدة

تكاد تجمع مختلف الاطراف الوطنية والتقدمية على مواقف سياسية تبدو موحدة من جبهة القوى المعادية للجماهير . فجميع الاحزاب الوطنية تناضل ضد القوى الفاشية ضد القوات السورية الغازية ، وهي تقف في مواقع معادية للرجعية العربية والصهيونية والامبريالية . الا ان نضال هذه الاطراف الوطنية ليس واحدا في مضمونه وابعاده .

فعلى اساس اي مضمون من مضامين النضال ضد معسكر الاعداء يستبني الحركة الوطنية جبهتها ؟

ان بعض اطراف الحركة الوطنية تطرح برنامجها السابق « من اجل اصلاح ديمقراطي للنظام اللبناني » بعد اضافة بعض التعديلات والزيادات عليه ، كاساس للموقف السياسي الذي ستقوم عليه هذه الجبهة . ان هذا البرنامج بصرف النظر عن المغالطات النظرية التي ينطوي عليها ، وبصرف النظر عن عجزه عن لعب اي دور في توجيه نضال الجماهير وتخلفه عن تأمين متطلبات هذا التوجيه ، فأنه وضع في ظروف سابقة تختلف اختلافا جذريا عن الظروف الحالية التي تمر فيها حركة الصراع بين الجماهير واعدائها . لقد وضع البرنامج في زمن كان لا يزال فيه النظام اللبناني الرجعي واقفا على قدميه ، وفي زمن وجود مختلف مؤسسات النظام ، اما اليوم فأن الجماهير اللبنانية تعيش في ظل انهيار تام للنظام ، وتتقاسمها سلطات ثلاث :

اولا : سلطة الفاشيين ، ثانيا : سلطة الغزاة السوريين ، التي تعبد الطريق لاعادة النظام اللبناني الى سابق عهده مع اضفاء الطابع الفاشي عليه ، ثالثا ـ سلطة الحركة الوطنية والمقاومة .

ان هذا الوضع الذي تعيش في ظله الجماهير اللبنانية هو الذي يساعد في تحديد اهداف نضال الحركة الوطنية ، وبالتالي الموقف السياسي من الفاشيين والغزاة السوريين . باختصار ان الموقف السياسي الذي ستبني على اساسه الجبهة الوطنية يفترض فيه ان يحدد موقفه من النظام اللبناني الرجعي المنهار ، ويحدد البديل عن ذلك النظام ، او عن الحالة التي تعيشها الجماهير في ظل الظروف الراهنة .

فهل ستتوجه الجبهة الوطنية الى النضال بجدية من اجل دحر الغزاة السوريين واسقاط الفاشيين نهائيا ، وما يتطلبه ذلك من نضال ملح باتجاه تثبيت سلطة الحركة الوطنية على مناطق سيطرتها ، تثبيتا يمكنها من تعبئة الجماهير والاستجابة لمختلف الحاجات التي تستدعيها هذه التعبئة سياسيا وعسكريا واقتصاديا ، والانطلاق بعد ذلك من هذه المناطق بعد تكريسها مناطق محررة باتجاه توسيعها وانتزاع باقي المناطق من ايدي الفاشيين والغزاة السوريين ، دون الوقوع بأوهام النصر القريب بين ليلة وضحاها ، ودون الوقوع فريسة الاوهام بتضخيم صعوبات النضال واستحالته ؟

ام هل ستسلك الجبهة الوطنية طريق المساومات والتنازلات باتجاه اعادة الروح الى جسم النظام الرجعي الرميم ، من خلال اتباع سياسة الوسطاء الرجعيين المتأمرين ؟ هذا بالاضافة الى ضرورة تحديد الموقف من المقاومة الفلسطينية وتعيين العلاقة معها باطار جبهوي سليم يحدد موقفه من سياسة الرجعية العربية عامة ومن سياسة الاستسلام والارتماء باحضان الصهيونية خاصة .

خطان في صفوف الحركة الوطنية

ان المراقب السياسي يلاحظ وجود تيارين داخل صفوف الحركة الوطنية الاول اصلاحي ، والثاني ثوري .

يدعو الاول الى :

● مقاومة الفاشيين ، ولكنه يرفض العمل على اسقاطهم نهائيا ، وبالتالي فهو يدعو الى تطوير النظام اللبناني الرجعي وليس الى تغييره . وتطوير النظام يعني بقاء حرية هذا التيار في المشاركة في النظام وايصال الممثلين عنه الى البرلمان وتحقيق بعض المطالب . انه بايجاز يريد ان يجعل من الجبهة الوطنية المنشودة حزب اقصى المعارضة في النظام الرجعي . اي يريدها ان تلعب دور المنشفيك في الحركة الاشتراكية ـ الديمقراطية الروسية ، بحجة ان المرحلة للبرجوازية .

● يعمل على طرد السوريين بالاستناد الى محاولات اللعب على تناقضات الرجعية العربية ، المتأمرة باشكال مختلفة وفق مصالحها في الهيمنة على الوضع العربي عامة ، وعلى الجماهير اللبنانية والفلسطينية خاصة ، ان وهم الاعتماد على الخلافات العربية من شأنه اهمال دور الجماهير والاستعاضة عن الاعتماد عليها في النضال عبر شتى اشكال الكفاح المسلح بالتهافت وراء الملوك والرؤساء العرب الخدم المخلصين للامبريالية والصهيونية . وفي الوقت نفسه فأن هذا التيار الاصلاحي على استعداد للتفاهم مع حكام دمشق وقد يقبل بالسير في ركابهم نحو جنيف والاعتراف باسرائيل .

● كما يعمل هذا التيار على التشهير باسرائيل باعتبارها امتداد للامبريالية في وطننا العربي ، ولكنه يرفض ان يناضل على اساس اسقاط اسرائيل وتحرير فلسطين واقامة نظام وطني ديمقراطي عربي على انقاضها .

اما التيار الثوري فأنه يدعو الى النضال ضد الفاشيين حتى اسقاطهم نهائيا واقامة نظام بديل لنظام ال ٤ بالمئة ، هو النظام الوطني الديمقراطي . انطلاقا من قناعة هذا التيار بأن الفاشية اللبنانية هي تعبير عن عجز الرأسمالية اللبنانية عن حل مشاكل الجماهير المتفاقمة باستمرار ، ولجوء البرجوازية اللبنانية الى الغاء الديمقراطية الليبرالية التي كانت سائدة فيما مضى ، وينطلق هذا التيار من هذا الفهم لظاهرة تطور البرجوازية اللبنانية وبلوغها مرحلة العجز عن مواصلة قيادة تطور المجتمع اللبناني ، ومحاولة الاستفادة من التراجع في الوضع العربي العام ، وانتقال الرجعية اللبنانية الى الممارسات الفاشية في محاولة منها للقضاء على الظواهر الليبرالية في النظام اللبناني الرجعي .

ان هذا التيار الثوري يعتقد ان الظروف الموضوعية المحلية باتت ناضجة خاصة بعد انهيار النظام اللبناني الرجعي ، وسيطرة الحركة الوطنية على مناطق عديدة من الاراضي اللبنانية ، لدفن النظام المنهار واقامة نظام وطني ديمقراطي بديل عن النظام السابق . كما يؤكد هذا التيار على ضرورة بناء السلطة الوطنية في المناطق المحررة وضرورة الاستيلاء على وتسخيرها لخدمة الجماهير وخدمة نضالها العادل ، ضد الفاشيين وشن حرب العصابات ضد الغزاة السوريين حتى يتم بناء لبنان الوطني الديمقراطي ، ويعمل هذا التيار على بناء جبهة وطنية لبنانية فلسطينية تتصدى لمؤامرات الرجعية العربية والامبريالية وتعمل على اسقاط مختلف كافة المؤسسات العامة الموجودة في مناطق سيطرة الحركة الوطنية الحلول الاستسلامية التصفوية .

مما لا شك فيه ان اهمية الجبهة الوطنية لا تعني اضافة القوى الوطنية بعضها الى بعض وتجميعها فقط ، ولكن هذه الاهمية تنبع من خلال توحيد جهود مختلف اطراف الحركة الوطنية باتجاه النضال من اجل اهداف واضحة ومحددة يقوم على اساسها موقف سياسي سليم من مختلف القضايا المطروحة على جدول اعمال الحركة الوطنية كمواجهة الفاشيين والتعامل مع الغزو السوري وغير ذلك ... من هنا فأن الدعوة لاقامة الجبهة الوطنية ، تطرح سؤالا فحواه ، ان قيام الجبهة الوطنية سيخدم ايا من التيارين المتواجدين ضمن صفوف الحركة الوطنية والتقدمية ؟

اننا نعتقد ان الجبهة يجب ان تقوم من اجل تحقيق الاهداف التالية :

● ضرورة النضال من اجل قيام لبنان الوطني الديمقراطي ، وما يتطلبه ذلك من :

■ بناء السلطة الوطنية في المناطق المحررة عبر السيطرة التامة على كافة الاجهزة والادارات العامة ، وتنظيم صفوف الجماهير عبر اللجان الشعبية للمساهمة في صنع الصمود وحل المشاكل الحياتية المتفاقمة ، والعمل على توفير الامن وسائر متطلبات الجماهير ، لتشعر باهمية النظام البديل وتدرك ضرورته وضرورة النضال من اجل اقامته .

■ تنظيم صفوف مقاومة الغزاة السوريين بأسلوب حرب العصابات ، ومتابعة القتال ضد الفاشيين بمختلف اشكال الكفاح المسلح الممكنة ، ايمانا منا بضرورة اسقاط الفاشيين نهائيا ، لانهم لن يسمحوا بعودة الليبرالية الى النظام الذي انهار ، والذي يعملون بمساعدة حكام دمشق على اعادة بعثه من جديد .

● تنظيم العلاقة مع المقاومة الفلسطينية من خلال جبهة لبنانية ـ فلسطينية ، يحدد فيها دور الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية ، كل حسب ساحة توجهه الاساسية بحيث تصبح مسؤولية قيادة العمل على الساحة اللبنانية من شأن الحركة الوطنية اللبنانية ، في حين تتولى المقاومة مسؤولية الدعم والاسناد لبنانيا فقط .

اننا اذ نقدر الصعوبات التي تعترض العمل الجبهوي ، فأننا نعتبر ان الوضوح في تحديد الموقف السياسي السليم والاهداف المرحلية واشكال النضال التي يتطلبها تحقيق هذه الاهداف ، من شأنه ان يذلل الكثير من الصعوبات ويحسم تذبذب القوى المعيقة لنجاح العمل الجبهوي ، ويتيح للجماهير امكانية الاختيار والحكم على هذا الفصيل او ذاك من خلال التزامه ببرامج الجبهة وتوجيهاتها .

■■ جوزف عبدالله